اللهجات العمانية؛ نحو رؤية لتوثيقها ودراستها، مجلة الخليل العدد ٥

قدمت الندوة العلمية التي نظّمتها جامعة نزوى بعنوان: "اللهجات العمانية؛ نحو رؤية لتوثيقها ودراستها"، مجموعة من البحوث والدراسات شارك فيها عدد من الأساتذة والباحثين في موضوع اللهجات واللغات العامية العمانية، والتبدّلات والظواهر الصوتية في لهجاتنا المحلية، وأهمية توظيفها في تعليم اللغة العربية الفصيحة. وقد تطرقت الندوة للحديث عن التراكيب والمصطلحات المرتبطة باللسان العماني العامي؛ ليأتي العدد الخامس من مجلة الخليل، مجلة جامعة نزوى للدراسات الأدبية واللغوية والقرآنية، موثّقاً لهذه الجهود؛ لتكون إسهاما لمكتبة البحث العلمي في هذا المجال.

يقع العدد الرابع، يوليو ٢٠١٨م، في ٢٦٨ صفحة من القطع المتوسط، ويضّم سبعة بحوث، وكلمة، ومتابعات، وقائمتي بمخرجات درجتي الدكتوراه والماجستير، وملخصات البحوث باللغة الإنجليزية في آخر الكتاب. ويقول الدكتور محمود بن ناصر الصقري، رئيس تحرير المجلة، في افتتاحية العدد: "تضمّن هذا العدد مجموعة من البحوث التي شارك فيها عدد من الأكاديميين والدارسين في هذه الندوة، التي وثّقت المفاهيم والمصطلحات والأنواع المرتبطة باللهجات واللغات العامية في عُمان".

جاء البحث الأول الموسوم: "اللهجات واللغات العامية العمانية المعاصرة؛ دراسة في المفاهيم والمصطلحات والأنواع"، لتقديم تصوّر علمي عن اللهجات واللغات العامية العمانية وأنواعها، وضع فيه الدكتور محمد بن سالم المعشني، رئيس قسم اللغة العربية في جامعة السلطان قابوس، ضوابط علمية تصلح لدراسة النوعيّات اللغويّة في عُمان، هذه النوعيّات مثل: اللغة، واللهجة، واللغة الأم، واللغة الأدبية المشتركة، واللغة العامية، والجماعات الكلامية أو اللغوية.

يُشير الباحث في ورقته إلى التباين اللغوي القائم في عُمان بحكم ثلاثة محددات رئيسة، هي: الجغرافيا؛ كونها تنقسم إلى نوعيات حضرية وبدوية وجبلية وساحلية. أم المحدد الثاني فهو التركيبة الاجتماعية التي تستند على أسس: القبيلة والعمر والجنس والأسرة والمسكن ودرجة التعليم والمهنة والانتماء. وتأتي زاوية الوحدات

اللغوية محددا ثالثا لهذا التباين، إذ يعتبر المعشني استعمال بعض الألفاظ التي تتنوع بين الفعل والاسم والأداة سبيلا لفهم المستويات اللغوية المختلفة الموجودة لدينا، أهمها:

١) أشكال نطق حرف القاف.
٢) استعمال أداة التعريف (أل).
٣) مسميات الأسماء والأدوات والأفعال.

كذلك ناقش الباحث بعض المفاهيم اللغوية الحاضرة في المجتمع، مثل: الازدواج اللغوي (استعمال المتحدث أكثر من شكل لغوي في التعبير)، واللغة الأدبية المشتركة (تعد السائدة في البيئة العمانية، وهي لغة التشريع ولغة الشعر وإنتاج العلماء)، واللغة الأم (اللغة التي يتعلمها الطفل في بيته؛ وغالبا يتعلمها من أمه؛ لذلك حملت هذه التسمية). كما فرّق بين اللهجة واللكنة والدارج والعامي والهجين وغير ذلك من التداخلات اللغوية في اللسان العماني.

وقدّم الدكتور خالد بن عبدالله العبري بحثا بعنوان: "التبدّلات الصوتية في لهجة الحمراء؛ الظواهر الصرفية والصوتية في لهجة الحمراء؛ دراسة وصفيّة تحليليّة"، عالج في جزئه الأول إبدال الهمزة في بداية ووسط ونهاية الكلمة في حالاتٍ، وإسقاطها في هذه المواضع الثلاثة في حالات أخرى. ثم تحدّث في الجزء الثاني عن إبدال الكاف جيما مهموسة أو جيما مزدوجة، وفي كلمات تأتي الكاف فيها للمخاطب المذكر أو للمخاطبة المؤنثة. ومن مواضع الإبدال في لهجة الحمراء، إبدال القاف كافاً فارسية، وإبدال الهمزة عيناً، وإبدال السين صاداً، وإبدال الصاد سيناً، والسين زياً، والصاد زياً، والجيم شيناً، واللام نوناً، والنون ميماً، والضاد ضاءً.

ومن الظواهر الصوتية الأخرى في لهجة الحمراء كما أوردها الباحث:

- ظاهرة كسر الحرف الأول من الأفعال المضارعة.
- ظاهرة كسر الأسماء.

- ظاهرة كسر الحرف الأول من فعل الأمر.
- ظاهرة تسكين أواخر الألفاظ.
- ظاهرة التخلص من صوت الهمزة.
- ظاهرة الإمالة.
- ظاهرة الفتح الخالص.

وقد ناقش الدكتور العبري بعضا من الخصائص الصوتية في لهجة الحمراء، مثل شيوع ظاهرة الكشكشة، وكثرة التبدلات الصوتية بين أصوات اللغة، والتخلص من الهمزة إما بحذفها أو استعمال أدوات اللين، وشيوع المقطع الصوتي المرفوض (المقطع الصامت)، واستعمال الكسر أكثر من الحركات الإعرابية الأخرى.

وعرض الدكتور سالم بن عبدالله البلوشي ظواهر مختارة من اللهجة العمانيّة المعاصرة؛ إذ قدّم دراسة صوتيّة وصرفيّة يعتمدها علماء اللغة العربية في دراسة التغيّرات الصوتية، وهنا يقصد: الإبدال والمخالفة اللغوية والقلب المكاني والإتمام والتوافق الحركي. يقول الباحث عن ظاهرة الإتمام: "يتحدث بها كثير من أهل عُمان، فيقولون: (اللعبة معيُودة) و(هذي البنت مزيونة) و(أنا مديون)، والإتمام ظاهرة صرفية بعكس النقص، أي إبقاء الوزن على الأصل". أما التوافق الحركي فهي ظاهرة تبرز انسجام الحركات في اللفظ، مثل: هذا كثير، وعندي بعير، ويبغى شعير، وهي مستعملة لدى أهل عُمان. ويشيع استعمال ظاهرة القلب المكاني في عُمان، إذ يقولون: كرهباء – مرسح – عنبكوت – مرهجان، وغيره ... وتعد المخالفة الصوتية ظاهرة لغوية تصيب المجاميع الصوتية المكدسة، ويستعملها العمانيون في قولهم: مديت بدل مددت، استفزيت بدل استفززت – قصيت بدل قصصت .. إلخ.

ويُشير الدكتور البلوشي في خاتمة بحثه إلى أن عاميّة أهل عُمان تعد امتدادا للغة القبائل العربية القديمة، أي لغة أهل الحجاز وبني أسد ولغة تميم وقيس ولغة هذيل والأزد.

وقد اعتمد الدكتور محمد بن يحيى الراشدي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، على مضّان الكتب لتخريج بحثه الموسوم: "ألفاظ زراعية عمانية من كتب التراث العماني"، أهم تلك الكتب: بيان الشرع، والمصنف، وقاموس

الشريعة، وتحفة الأعيان، والفتح الجليل، هذا البحث الذي جمع نماذج من الألفاظ الزراعية الدارجة في المجتمع العماني؛ وذلك بترتيب ألفاظها ألفبائيا مع توضيح معناها وبيان دلالاتها. في هذا البحث سيجد القارئ جملة من الألفاظ الزراعية المستعملة عند أهل عُمان قديما وحديثا، فهذا الباب يعد رحبا بفضل اهتمام المجتمع بالزراعة بشكل كبير، وهنا الباحث لم يكتفِ بذكر معنى اللفظ عند أهل عُمان فقط؛ بل ساق دلالاتها من معاجم اللغة.

يقول الدكتور الراشدي في خاتمة بحثه: "تعد الألفاظ العمانية الزراعية ثروة لغوية، وكثير منها متداول في المعاجم اللغوية، كذلك هذه الألفاظ حاضرة بكثرة في الكتب الفقهية العمانية، ومما ساعد على ذلك أن بعض المحاصيل كانت تُصدر إلى خارج عُمان".

وكان "توظيف اللهجات في تعليم العربية الفصحى؛ لهجة ظفار أنموذجاً"، عنوانا لورقة الدكتور سعيد بخيت مبارك، جامعة ظفار، هذا البحث استطاع توظيف التشابه الكبير بين اللهجة التي يستعملها الفرد في حياته اليومية، والفصحى المكتسبة من التعليم، في مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وقد استثمر الباحث هذا الجهد لتعليم المتلقي آلية استبدال العامي بالفصيح، تحدثا وقراءة وكتابة.

يقول الباحث إنه اعتمد لهجة (ظفار) لكونه من سكّان المنطقة، ويسهل عليه جمع المادة اللهجية، ففي المبحث الأول أشار إلى أوجه علاقة اللهجات بالفصحى، إذ ترجع إلى لغات فصيحة سُمعت عن بعض القبائل العربية في شبه جزيرة العرب، ومن ذلك في لهجة ظفار ما جاء في باب الهمزة من تخفيف وحذف، مثل قول القائل: تعال يا سعد، بدلا من تعال يا أسعد، وقولنا: يا بو فلان، بدلا من يا أبو فلان. وسرد الدكتور سعيد بعضا من محاذير توظيف اللهجات في تعليم العربية الفصحى، أهمها التمكن العميق من اللغة العربية، وفي مبحث توظيف اللهجات في تعليم الفصحى، أشار الباحث إلى ضرورة اجتناب العامي ليحل الفصيح محله، ومن ذلك ساق مثالا عند أهل ظفار:

العامي: أنا باروح السوق ... الفصيح: أنا سوف أذهب إلى السوق.

ففي هذا المثال يتضح استبدال الأداة اللهجية (با) بالأداة الفصيحة (سوف)، والفعل اللهجي (أروح) بالفعل الفصيح (أذهب)، ثم تطرق لشرح مستويات التطبيق العملي لاستبدال العامي بالفصيح، وهي: الصوتي – الصرفي – النحوي، فالمتعلم قادر على تفعيل ذلك بالدربة والممارسة إلى أن يألف لغته الفصيحة.

وقدّم الدكتور عبدالله بن سعيد السعيدي، وزارة التربية والتعليم، بحثا عنوانه: "منطلقات دراسة اللهجات العمانية؛ الأمثال الشعبية أنموذجا"، إذ يقول الباحث عن اختياره لهذا المجال تحديدا: "تحمل الأمثال الشعبية مخزونا ثقافيا ولغويا، وتمتاز بالثبات الذي مكنها من الوقوف زمنا طويلا أمام اللغات العالمية".

وقد عرض الباحث مفهوم المثل وسماته، وما يمتاز به من إيجاز ودقة في المعنى وحسن تشبيه وكناية وتعريض؛ كل هذه السمات مكنته من الذيوع والانتشار والثبات؛ لانتقاله جيلا بعد جيل بين الناس، مشيرا إلى ضرورة كتابة الأمثال العمانية بالطريقة الصحيحة التي سُمعت بها ... وقد ساق الباحث في معرض حديثه هنا المثل الدارج (الصيف ضيعت اللبن) هذا المثل الذي حفظ التاريخ نصه، ووثق دلالته ومعناه. كما أن الأمثال في اللهجة العمانية تتميز بخصائص صرفية وصوتية؛ بحكم اختلاف اللهجات بين منطقة وأخرى، فنطق الحروف ومخارجها يتغيّر، لكن المعنى يظل ثابتا، وهذه الأمثال عمانية تحمل الكثير من الألفاظ الفصيحة.

وبخلاف مضمون العدد الخامس لمجلة الخليل الذي ضمّ أفضل البحوث المقدمة في ندوة "اللهجات العمانية؛ نحو رؤية لتوثيقها ودراستها"، نُشر بحث للدكتور علي عبد رمضان، كلية التربية والعلوم الإنسانية في جامعة البصرة، بعنوان: "جماليات التجربة العروضية للقصيدة القصيرة في الشعر العراقي المعاصر؛ الشعراء ما بعد الرواد". بحثت هذه الدراسة في الإيقاع العروضي وتداخل البحور في هذه القصيدة، وظواهر تشكله فيها، ومدى فاعليته عنصرا من عناصرها الشعرية؛ ليدرس فيها:

- أهم الأوزان.
- إمكاناتها الإيقاعية.

- حركيتها المتسقة.
- مقتضى الدلالة والإيحاء.
- النمط الإيقاعي.

يقول الباحث عن القصيدة القصيرة في الشعر العراقي: "شهدت محاولات جادة لعدم الرضوخ لتقليدية الأنماط الخليلية والتقيّد بقواعدها الصارمة، فقد شكلت بنيتها العروضية بما يتلاءم وطبيعة التعبير والجو الانفعالي لرسم مسار النغم الذي يطلبه التعبير ودلالاته". ويضيف: "حققت هذه التجربة فاعليتها لتثبت حضورها التعبيري والدلالي والإيحائي". واختتم بحثه بتأكيد على محافظة هذه القصيدة على الجوهر الإيقاعي العروضي المتسق.

وقد خرج الباحثون في ندوة: (اللهجات العمانية؛ نحو رؤية لتوثيقها ودراستها) بنتائج وتوصيات عديدة ومهمة جدا، إذ تؤكد على الحاجة الملحة لتوثيق هذه اللهجات وتحليل خصائصها اللغوية؛ من أجل إظهار الثراء اللغوي الذي تتمتع به سلطنة عُمان؛ خصوصا أن في الفترات السابقة قام العديد من الباحثين الأجانب بدراسة التباين الكمّي والنوعي للهجات عمان من شمالها إلى جنوبها.

أيها القرّاء الأعزاء لمجلة الخليل، مجلة جامعة نزوى للدراسات الأدبية واللغوية والقرآنية، نشير إلى أن المجلة سوف تُتاح قريبا في موقع مكتب النشر على الشبكة العنكبوتية بصيغة PDF مقابل رسوم مالية معيّنة؛ نظرا للطلب الواسع لها من الباحثين والدارسين والمستشرقين وعلماء اللغة العربية؛ كونها تعد مرجعا لهم في هذا المجال.